International Journal of Early Childhood Special Education (INT-JECSE)
DOI:10.48047/intjecse/v16i5.48 ISSN: 1308-5581 Vol 16, Issue 05 2024

Features of narcissism in the literature of Ibn Shahid Al-Andalusi

Dr. Israa Al-Heib [1*]

[1:] University of Algiers2 (Algeria), israahb2019@gmail.com, Israa.heib@Univ-alger2.dz

Received:23/10/2024, Published: 23/12/2024

Summary:

"Literature—whether poetry or prose—springs from the soul, colored by its various hues, and expresses its innermost feelings, movements, and stillness. It is influenced by what the soul experiences during childhood, youth, and old age, either consciously or unconsciously. Thus, literature has greatly benefited from psychology, more so than from other sciences such as sociology, history, geography, or others.

Many serious and outstanding literary studies have been based on psychology. Among them are, for example, the studies of Al-Aqqad on various characters, and the studies of Dr. Izz al-Din Ismail, among others in the Arab world, as well as Freud, Jung, Rogers, and others in the West.

In our study of Ibn Shahid's literature, we will attempt to benefit from these studies, as the 'Self' is a significant aspect of psychological studies that cannot be overlooked and must be the starting point. Through this, we will uncover the secrets of his personality by examining various aspects of his life and the psychological concepts and human phenomena linked to it, which clearly manifest in his poetry and prose, while often remaining hidden between the lines. This will lead us to a relatively clear picture of Ibn Shahid's personality and the inflation of the ego in his overall literature."

Keywords: Ibn Shahid, Narcissism, Ego, Al-Tawabi' wa al-Zawabi', Poetry, Death Instinct.

ملامح النرجسية في أدب ابن شهيد الأندلسي

د. إسراء الهيب [1]

1: جامعة الجزائر–2– أبو القاسم سعد الله، الجزائر، israahb2019@gmail.com، Israa.heib@Univ-alger2.dz

الملخص:

الأدب – شعرا كان أو نثرا – نابع من النفس، مصبوغ بأصباغها المتنوعة، معبر عن خلجاتها وحركاتها وسكناتها، متأثر بما مرت به في طفولتها وشبابها وشيخوختها، بصورة لا شعورية أو شعورية، لذلك أفاد الأدب من علم النفس إفادة كبيرة، فاقت الإفادة من العلوم الأخرى مثل علم الاجتماع أو التاريخ أو الجغرافية أو غيرها.

ولقد قامت دراسات أدبية جادة ومتميزة كثيرة على علم النفس نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر دراسات العقاد لشخصيات متعددة، ودراسات الدكتور عز الدين إسماعيل وغيرهما في العالم العربي، وفرويد ويونغ وروجرز وغيرهم في الغرب.

وسنحاول أن نفيد من تلك الدراسات في دراستنا لأدب ابن شهيد، فالذات (Self) ركن مهم في الدراسات النفسية لا يمكن تجاوزه ولا يمكن البدء إلا به، ومنه نكتشف أسرار شخصيته من خلال جوانب حيواته المختلفة، وما ارتبطت به من مفاهيم نفسية وظواهر إنسانية تجلّت بشكل واضح في شعره ونثره، وتخفّت مرات كثيرة بين السطور ، لنصل إلى صورة شبه واضحة عن شخصية ابن شهيد وتضخم الأنا في أدبه بعامة.

الكلمات المفتاحية: ابن شهيد، النرجسية، الأنا، التوابع والزوابع، الشعر، غريزة الموت.

- **مقدمة:**

يعد ابن شهيد أديب وناقد من أكبر أعلام الأندلس، ذائع الصيت ، متعدد الجوانب، عميق الأثر، يحتاج إلى دراسة مستفيضة، للكشف عن ملامح شخصيته ونسليط الضوء على النرجسية التي تجلت في أدبه عامة وشعره خاصة وتضخم الأنا، ولنجيب عن هذه الإشكالية جعلت البحث في جوانب ثلاثة :

أولا– عرضت بعض الدراسات النفسية وما توصلت إليه من نتائج تتصل –بشكل أو بآخر– بشخصية ابن شهيد التي تضخمت فيها الأنا حتى برزت في أدبه بصورة لافتة للنظر، وهنا كان لا بد من الخوض في مفاهيم أخرى ارتبطت بشخصية ابن شهيد مثل: الإحباط والنكوص وغريزة الموت، وكيف كانت نتيجة من جهة، وسبباً لأمور أخرى من جهة ثانية، ثم أفردت للنرجسية مجالاً واسعاً تحدثت فيه عن أسطورتها ولوازمها وغير ذلك .

ثانيا– حياة ابن شهيد حيث كان لا بد من التطرق إلى حياته وصفاته، وأهم المواقف التي تعرض إليها وكان لها الأثر الكبير في بناء شخصيته وآدابه، ثم تحدثت عما عاناه من إحباط وما نتج عنه من آثار على شخصيته وأدبه.

ثالثا– الجانب التحليلي التطبيقي، حاولت فيه أن أطبق ما ورد من الدراسات النفسيةعلى شخصية ابن شهيد وأدبه: شعره ونثره، ليرتبط آخر هذا البحث مع أوله.

وقد استعنت بالمصادر والمراجع اللازمة التي أعانتني في عمليتي التحليل والاستنباط لأصل إلى نتائج استطعت من خلالها رسم ملامح شخصية ابن شهيد الأندلسي.

أولا: **الأدب والدراسات النفسية:**

يعرّف روجرز مفهوم الذات(Self – Consect) بأنه تكوين معرفي منظم ومتعلم للمدركات الشعورية والتصورات والتقييمات الخاصة بالذات، يبلوره الفرد ويعتبره تعريفا نفسيا له. ويتكون مفهوم الذات من أفكار الفرد الذاتية المحددة لكينونته الداخلية والخارجية. إن الشخص الذي يمتلك مفهوم ذات قويا وإيجابيا يرى العالم بشكل مختلف تماما عن الشخص الذي عنده مفهوم ذات ضعيف، ويعكس مفهوم الذات الواقع. وقد يرى الشخص نفسه فاشلا بينما هو في الواقع ناجح ويرتبط مفهوم الذات بالخبرة عند روجرز ، لأن الفرد يمر خلال حياته بخبرات عديدة. والخبرة هي "كل شيء أو موقف يعيشه الفرد في زمان ومكان معينين يتفاعل معها الفرد وينفعل بها، يؤثر ويتأثر بها. والخبرة متغيرة دوما يحولها الفرد إلى رموز يدركها ويقيمها في ضوء مفهوم الذات وفي ضوء المعايير الاجتماعية، والخبرات غير المتسقة مع مفهوم الذات تعتبر بمثابة تهديد للشخص. وكلما زادت الخبرات التي ينكرها الفرد (لعدم اتساقها مع ذاته) اتسعت الهوة بين الذات والواقع، وازداد احتمال القلق والاضطراب النفسي . وإن الذات تتطور من خلال التنشئة الاجتماعية وأسلوبية الوالدين في تربية الطفل ومواجهة خبراته وخاصة خبرات الطفولة[1].

[1] ينظر: عبد الله محمد قاسم: الصحة النفسية: ص 85 –86.

ويميز فرويد بين الهو والأنا الأعلى، ويحدد طبيعة عمل كل منها، فالهو (Loca) يشتمل على مجموعة من الغرائز الأولية ويشتمل أيضا على جميع العناصر المكبوتة ذات الطابع العدواني والجنسي، أم الأنا (Lemoi) فيشتمل على النظام الشعوري الإدراكي وهو يمتلك إرادة الحركات الإرادية وعلى العمليات القبل شعورية، ويشكل مركز العمليات الدفاعية ضد الهو. وفي النهاية فإن الأنا الأعلى (Lesurmoi) يعبر عن الأخلاق الطفولية القديمة، وينظر فرويد في بعض نصوصه إلى الأنا الأعلى وكأنه جزء من الأنا، ولكنه بالتأكيد ينظر إليه بوصفه لحظة مستقلة شعورية، وهي اللحظة التي نجد مدها ومداها في التأثيرات الوالدية الأولى. "وبالنتيجة فإن الأنا الأعلى هذا يشكل الوريث الحقيقي لعقدة أوديب ويمثل إشعاع الممنوعات العائلية"، فهو من طبيعة ثانية يؤدي أعمال السهر والعناية والتهديد التي كان الأبوان يقومان بها سابقا، ولا سيما في اللحظة التي ينفصل فيها الأنا الأعلى عن الأنا أو يعارضه ، ويشكل الأنا الأعلى في النهاية قوة ثالثة يجب على الأنا أن يأخذها بعين الاعتبار، والمهم هنا أن خبرات التحليل قد أكدت لفرويد أن الأنا الأعلى ذو طبيعة لا شعورية أيضا[1].

وإذا عزمنا الغوص في تحليل الذات الإنسانية عامة، والمبدعة خاصة، لوجدنا أن كل شخص يحمل عددا من الدوافع والحاجات والرغبات، يسعى دوما إلى إشباعها وتحقيقها، وقد ينجح الشخص في إشباع دوافعه ورغباته وقد يفشل في ذلك. فإن تعرض للفشل في إرضاء بعض الدوافع والحاجات والتي هي حالات طبيعية يمر بها الإنسان في حياته اليومية سميت هذه الحالة إحباطا. ف "الإحباط حالة من الخيبة يشعر بها الفرد نتيجة الفشل في إشباع حاجة لديه أو تحقيق رغبة معينة عنده"[2].

وهناك نوعان من الإحباط: إحباط داخلي وإحباط خارجي.

ويتم هذا التصنيف للإحباط استنادا إلى مصادر العائق ومكان تواجده فإذا كان العائق الذي يعيق الفرد من إشباع الدافع في داخل الشخص (وبنيته الجسمية أو النفسية) عندها يكون الإحباط داخليا، أما إذا كان العائق في المحيط الاجتماعي والطبيعي عندها يكون الإحباط خارجيا فالشخص الذي تمنعه قيمه وأخلاقه من إرضاء دافع عنده، أو تمنعه عاهة جسمية عنده من القيام بنشاط معين، أو إشباع رغبة يمر بحالة الاحباط الداخلي لأن مصدر الإعاقة داخلية جسمية أو نفسية أو أخلاقية في ضميره[3]، إلا أن "بعض حالات الإحباط تعتبر بمثابة حافز ومثير للإبداع ... والحالة الانفعالية (التوتر والقلق) المصاحب للإحباط قد يكون مرغوبا لأنه بمثابة دافع ومحرض للسلوك الإيجابي والمبدع. من هنا فإن بعض العلماء يطلق كلمة قلق، أو هم وضيق ليدلوا على الإحباط، والقلق يعمل عمل الدافع ، وقد أجريت تجارب عديدة توصل من خلالها العالمان دولارد وميللر إلى النتيجة القائلة بأن الإحباط يؤدي دوما إلى حالة من حالات العدوان، وأن السلوك العدواني بكل أشكاله تسبقه دوما حالة إحباط وفشل. وإن العدوان الناتج عن التهديد المرافق للإحباط يأخذ أشكالا عديدة، إما أن يكون عدوانا لفظيا، أو يكون عدوانا جسميا، ويقود الإحباط الفرد لاتباع العديد من آليات الدفاع النفسية مثل النكوص والتبرير والإسقاط والنكران"[4]، وكذلك التهتك حيث "يتحدى صاحبها الناس عامدا أن يسخر منهم ويكشف رياءهم، وقد يهون عليه شأن الرياء والصراحة، فلا يعلن رذائله كراهة للرياء وحبا للصراحة، بل يعلنها لأنه يريد أن يقرر شخصيته ويشعر الناس بوجوده ويستخف مما يسترونه ويعلنونه[5].

---

[1] ينظر: فرويد. سيجمند – الأنا والهو ص 141 – 142.

[2] عبد الله محمد قاسم: الصحة النفسية: ص 111.

[3] ينظر: المرجع نفسه ص 114.

[4] عبد الله محمد قاسم: الصحة النفسية: ص 115 – 116.

[5] ينظر: العقاد عباس محمود أبو نواس ص 29 – 31

إن هذه الحالات التي درسها علماء النفس المحللون والتي ذكرناها آنفا من تحقيق الذات ومن حالات الاحباط والنكوص والتبرير والإباحية والتهتك إنما تفسر آفة نفسية أخرى هي النرجسية. فما هي النرجسية ؟

لعل خير من يتحدث عنها هو عباس محمود العقاد، لقد ذكر نشأة اللفظ والاصطلاح، إنها ذات صلة قوية بالمعاني التي أوحت إلى المحللين النفسيين أن يطلقوا الكلمة على مدلولها بين الآفات الجنسية، ولقد كان اليونانيون الأقدمون يطلقون اسم نرجس على فتى من فتيان الأساطير بارع الحسن ساحر الشمائل، يفتن من يراه ويشقي بجماله وبتيهه قلوب العذارى الخفرات فلا يلتفت إليهن ولا يستجيب لضراعتهن، ولم يزل كذلك حتى ضجت السماء بدعاء عاشقاته وصلواتهن إلى الأرباب أن يصرفوهن عنه أو يصرفوه عنهن، واستجابت نمسيس ربة القصاص والجزاء لهذا الدعاء فقضت عليه أن يهيم بحب نفسه ويلقى منها الشقاء الذي تلقاه منه عاشقاته.

قال رواة الأساطير: "فما هو إلا ان ذهب يشرب من ينبوع صاف حتى لمح صورته في مائه، فوقف عندها يعجب من جمالها. وأذهلته الفتنة عن شأنه فلم يبرح مكانه مطرقا إلى الماء ليتملى تلك الصورة ويرتوي من النظر إليها، فلا يزيده النظر إلا لهفة وشوقا ولا تزيده اللهفة إلا هزالا وذبولا حتى فني. وذهبت عرائس الماء تطلب رفاته فلم تجد في مكانه غير نرجسة مطرقة ترنو إلى الماء ولا ترفع بصرها إلى السماء، فالنرجس أبدا مطرق مفتوح العين لا يشبع من النظر إلى خياله على حوافي الجداول والغدران"[1].

وبالإضافة إلى هذه الرواية هناك روايات أخرى ذكرها العقاد في كتابه. وكل الأقاويل عن النرجس لاحقة بما تنطوي عليه "النرجسية" من الغرائز أو من الميول والأحاسيس، فهي آفة متصلة بالغيبوبة والنشوة والهيام وحب المصاب بها الملامحه وكلامه. ولهذا وقع عليها اختيار المحللين النفسيين، فلم يجدوا اصطلاحا أوفق منها لأعراض تلك الظاهرة النفسية، وأول من أدخل هذا المصطلح في الطب النفسي الدكتور (هافلوك اليس) رائد المباحث الجنسية المشهور ، ثم توسع الأطباء النفسيون في دراسة هذه الآفة وتتبعوا أعراضها ولوازمها.

وقد ربطوها بما يسمى (الشعور بالنقص) ، فقد اتجه بعضهم إلى أن الشعور بالنقص) الذاتي للكائن البشري، وما يدعى بآليات التعويض أو التعويض الأعلى بفعل التأثيرات المباشرة لما يدركه المرء من نقص أو قصور نفسي أو فسيولوجي ، و بذلك يصبح القصور عند أدلر قوة وهاجة لتحريك مشاعر الفنان، وعاملا فعالا لنشاطه الإبداعي الناتج عن مبدأ قانون التعويض النفسي الذي يقابل مكان الرغبات الجنسية عند فرويد ، ويبدو أن الفنان في نظر آدلر يخضع للنزوع اللاشعوري من حيث كونه قوة دافعة لرغباته إلى مبدأ إدارة التفوق في محاولة إثبات الذات وتأكيد الوجود ، "وقد حاول فرويد جهد استطاعته أن يلقي الضوء على طفولة الفنان، ولا عجب فهي التي ستفسر له جوانب الشخصية الراشدة"[2].

وهكذا فإن اللاشعور هو منبع الإبداع الفني، وسواء أكان مكتسبا شخصيا أو انتقل بالوراثة حاملا آثار خبرات الأسلاف، فإنه يعد مصدر الأعمال الفنية العظيمة التي يبديها الفنان الموهوب، والذي يعني بالضرورة تركزا للطاقة في اتجاه معين، مع شيء من الفراغ الذي يظهر في جانب من جوانب الحياة، والنتيجة طبعا أنه بقدر نبوغ الفنان في فنه تسوء مظاهر نشاطه الأخرى، في معاملاته وفي تفكيره وفي حياته الاجتماعية بوجه عام.

ثانيا: حياة ابن شهيد الأندلسي:

بدأت حياة ابن شهيد " أحمد بن أبي مروان عبد الملك بن أحمد بن عبد الملك بن عمر ابن محمد بن شهيد بن عيسى بن الوضاح الأشجعي سنة 382هـ في أحضان النعمة عند بني عامر، تربى على مهاد الجاه، فقد كان البيت الذي ينتمي إليه بيت ثراء ونفوذ وسلطان وكانت صلة هذا البيت ببيت الحاجب – ولي الأمر الفعلي – قوية الوشائج، بحيث سمحت للصغير أحمد بن شهيد أن يلهو بين يدي

[1] المرجع نفسه . ص 34.

[2] سويف مصطفى الأسس النفسية الإبداع الفني ص 79.

المنصور وأن يُحمل على أكتاف ابنه عبد الرحمن، وأن يجلس على سرير زوجته، وينال الكثير من التدليل والعطف والهدايا، وهكذا لعب ابن شهيد بالمال منذ صغره، فنشأ وكفاه لا تقدران على القبض، وإنما تألفان البسط والعطاء والتبديد".[1]

وهناك قصة تحكى عنه وهو في الخامسة من عمره، فلقد أتي به أمام المنصور، ذات يوم مطير ، فرأى عنده تفاحة كبيرة فنظر إليها في اشتهاء ظاهر حتى إن المنصور أمره بأكلها، فلم يتمكن، إذ كانت التفاحة أكبر من أن يقرضها بأسنانه، فجعل المنصور يقطع منها بفمه ويعطيه منها قطعا حتى أكلها، ثم أرسل في طلب ابنه عبد الرحمن (الناصر فيما بعد)، فلما جاء طلب إليه أن يأخذ الطفل إلى من ترعاه وتعنى به، ولما أبدى الطفل عزوفه عن الخروج في المطر، حمله عبد الرحمن وتابعه ابن شاكر على كتفيهما إلى زوجة المنصور، فأجلسته على السرير بجانبها، وأمرت له بأربعة آلاف درهم، ألف منها من خزانتها وثلاثة آلاف من خزانة زوجها المنصور، وكان ابن شهيد يريد أن يفرق المال بين خدم البيت، لكن والده استولى عليه، وفرق بعضه على نفر من بطانته، ثم وضع الباقي في خزائنه، الأمر الذي أحزنه وترك في نفسه أثراً كبيراً سيبدو ظاهراً في شعره، فلما بلغ ذلك أسماع المنصور غضب، ثم أمر للطفل بخمسمائة دينار، وأمر والده في ذات الوقت بأن لا يلمس منها شيئاً. وبنفس الكرم الذي اشتهر به شاعرنا في حياته فيما بعد، أهدى المال إلى خدمه ورفاقه واشترى بما تبقى منه لعبا تمثل الجند.[2]

أما عن أخبار والده عبد الملك أبي مروان فكان من كبار الوزراء في الدولة العامرية، مقرباً عند المنصور بن أبي عامر، وقد استعمله المنصور والياً على الجهات الشرقية، ثم أعفاه المنصور من الخدمة حسب رغبته، فعاد إلى قرطبة وقد أثرى، وفيها أصبح من ندامي المنصور ومستشاريه، وكان كثير الاهتمام بالتاريخ واللغة والأشعار وغيرها، وفي شيخوخته كان ما يزال قوي الشهوات، منطلق النفس وراء لذاته، إلا أنه نسك في أخريات أيامه، وتوجه إلى الآخرة، وعزف عن الدنيا، ثم أصيب بالنقرس وأدركته منيته من ذبحة أصابته.[3]

ولد شاعرنا في قرطبة، وكان أبوه قد بلغ التاسعة والخمسين، وذلك عمر كبير[4] وقد حرم من عطف أبيه الذي كان منشغلاً بمجالسه وبأمور الدولة أكثر من النظر إلى أولاده، وتروى حادثة عميقة الأثر في نفسية ابن شهيد الطفولية ، ذلك أن أباه حين نسك، نسى حق الطفولة في اللهو، فعمد إلى ابنه أحمد وكان يومئذ في الثامنة، فحلق لمته، وانتزع ما عليه من ثياب الخز والوشي وألبسه بدلا منها ثياباً بسيطة، فتلقى الطفل هذه بألم شديد ومر به الوزير ابن سلمة ذات مرة، فسأله عن حاله، فأجابه بالنشيج والعجيج. فما كان من الوزير إلا أن حكى الأمر للمظفر بن المنصور، فاستقدم الغلام إليه وألبسه ثياب الحرير، وحمله على فرس بسرجه ولجامه، وأعطاه ألف دينار، وعقد له على الشرطة، فأرضى في نفسه الصغيرة تشوفها إلى المراكز العالية الكبيرة.

كان ابن شهيد طفلاً شديد الحساسية بالدرجة الأولى، انطبعت في ذاكرته منذ الصغر ذكريات لم تنطمس في شبابه وشيخوخته نلمس فيها الثورة الخبيثة على أبيه وحقده عليه، والتشوف إلى الثراء وحب الظهور واستشعار السيادة في دور مبكر من حياته، من أجل ذلك كانت نكبة قرطبة عام ثلاثمائة وتسعة وتسعين حادثاً جللاً بالنسبة إليه لأنها هوت بالمجد العامري، وقضت على الأيام السعيدة في ظل العامريين، ولأن نشأته لم تكن لتقويه على الكفاح والمغامرة من جديد، لنعومتها أولاً، ولفرقه الشديد من تقلبات الأيام في المهاجرة، فبقي في قرطبة ينظر إلى معاهدها الدارسة في أسى، ويبكي قصورها، ومتنزهاتها، ويعلل عجزه عن مفارقتها بحبه للوطن وبحبه لقرطبة[5].

---

[1] هيكل أحمد . الأدب الأندلسي ص 372.

[2] ابن شهيد ديوان ص 13.

[3] ينظر: عباس إحسان، تاريخ الأدب الأندلسي ص 270 – 271.

[4] الديوان ص 13.

[5] ينظر: ابن بسام، الذخيرة 1/1: 165

وكان للتدليل الكثير والترف البالغ والنعمة الموفورة أثر كبير في نشأة أبي عامر ، فهو لم يؤخذ بجد إلى التعليم، ولم يحمل في صرامة على الدرس، ومن هنا لم يقبل كثيرا على ما كان يقبل عليه معاصروه من حديث وتفسير وفقه ونحو، وغير ذلك من العلوم الدينية واللغوية، وإنما أقبل على ما يلائم ترفه وانطلاقه، ويناسب طبعه ومواهبه، أقبل على الأدب، يتزود من قديمه وحديثه ومن شعره ونثره، ويطيل النظر فيما خلفه الجاهليون والاسلاميون والمشارقة والمغاربة من شعر ونثر وحفظ من ذلك الكثير، واختزن من المعاني والأفكار والصور والأساليب ما حرك ملكته، وأنطق لسانه، وأجرى قلمه منذ حداثته.

بدأ يقول الشعر في مرحلة مبكرة، ويراسل به المتقدمين عليه سنا وفنا، وذلك لمنزلة والده ومكانة أسرته.

ولم تكن الحاجة تدفع ابن شهيد إلى عمل يكسب منه قوته، فقل توليه للمناصب وكثر تفرغه للهو والمجون، وقرض الشعر وتدبيج النثر، ولم تستطع الفتنة الضاربة على الأندلس وعلى قرطبة بنوع خاص أن تعقل لسانه أو تحطم قلمه، وإن استطاعت أن توجهه وجهة تناسبها وتناسب استعداد ابن شهيد أيضاً، فكان أدبه مقسماً بين خمريات ولهو ومجون ومجاملة وترض للحاكمين، وهجاء وتجريح للمعادين، ثم بين مراجعة وتأمل، وتخيل وقص، وتحليل ونقد[1].

إن الفتنة قوّت في نفسه حب السلامة في تلك الفترة المتقلبة، وأضافت شيئاً إلى المرارة التي كان يحسها نحو الأشياء والناس، وأذكت من نار النقمة عنده على بعض معاصريه، حتى لتحس من بعض رسائله أنه كان يرى من حوله يكيدون له، حباً في الكيد أو حسداً لعبقري مثله[2].

لقد كان يرمي إلى الطعن في أنداده ومنافسيه من الوزراء والأدباء وأهل السياسة والقلم، ثم المنافحة عن أدبه بالرد على غمزات نقاده، ثم إظهار محاسنه وفضائله في المتقدمين والمتأخرين[3].

وقد اتخذ ابن شهيد أصدقاء له من الأمراء والوزراء ورجال الأدب وكثير من هؤلاء تجمعوا في حركة أدبية كان هو على رأسها. وكان من بين هؤلاء الأصدقاء، عبد الرحمن خليفة المستقبل وشقيق المهدي، وكلن منهم ابن ذكوان قاضي قرطبة، والوزير الزجالي والذي أوصى ابن شهيد أن يوارى جثمانه بعد موته إلى جواره كما مر معنا... فتجاورا في الممات تجاورهما في الحياة. وعبد الوهاب بن حزم، وكان منهم فوق كل هؤلاء ابن عم الأخير، الأديب الشهير أبو محمد بن حزم وهو الذي ارتبطت حياته ارتباطا وثيقا بحياة ابن شهيد، وكانت الصلة بينهما ترجع إلى صباهما إذ كانا ينتميان إلى أسرتين قريبتي المنزلة والمرتبة ويسكنان بالقرب من قصر العامريين وكانت داراهما متجاورتين وبينهما مكاتبات ومداعبات[4].

أما أعداء شاعرنا، فإن جهودهم في سبيل فضيحته لم تلن، وقد ذكر ابن شهيد نفسه ثلاثة أسماء في الرسالة لثلاثة أشخاص بذلوا كل جهد حتى النهاية في سبيل تحقيره، وهم أبو محمد وأبو القاسم وأبو بكر، وهو في رسائله يهاجم اثنين ممن كانوا يكيدون له، أحدهما يسمى ابن فتح والآخر أبا عبد الله الفرضي. ولقد نجح أعداؤه في تحريض علي بن حمود، فسجن ابن شهيد في سجنه مدة من الزمن[5].

ويبدو أن ابن شهيد كان يعاني من الصمم معظم أيام حياته، ولعله أصيب في الأيام الأولى بهذا النقص الذي كان سببا في ألا يصل إلى المنصب الذي كان يرنو إليه، وهو منصب الكتابة. وكان أيضا أطلس يميل إلى اللهو والبطالة ويسرف في الكرم حتى أشرف في

---

[1] ينظر: هيكل أحمد الأدب الأندلسي ص 373.

[2] ينظر: عباس إحسان تاريخ الأدب الأندلسي ص 274.

[3] بلا شارل ابن شهيد الأندلسي: حياته وآثاره ص 100.

[4] المرجع نفسه ص 55.

[5] ينظر: ابن بسام ، الذخيرة 1/1: 182

أواخر أيامه على الإملاق. وكانت له عزة نفس مصحوبة بالعجب. ومن صفاته أيضا الفكاهة والميل إلى الهزل. وكان دائم التبرم من الزمان لأنه لم ينصفه، فلم يكن يعش له أولاد[1].

مرض ابن شهيد في أيامه الأخيرة، وكانت علته ضيق النفس والنفخ وأصاب جسمه الوهن حتى غلب عليه الفالج، وظل مريضا سبعة أشهر كاملة، قاسى فيها العذاب الشديد، وفي العشرين يوما الأخيرة صار حجرا لا يبرح ولا يتقلب.

ولما بلغت منه الأوجاع مبلغا شديدا هم بقتل نفسه، ثم آثر الرضى بقضاء الله وقدره. وفي فترة مرضه بقي ذهنه متفتحا وقريحته متوقدة، وصدر عنه شعر يدل على حيوية غير عادية[2].

كان أبو عامر شديد الخوف من الموت، ومما وراءه، فكان يدعو الله ويشهد شهادة التوحيد، إلى أن توفي عام ستة وعشرين وأربعمائة، فتكاثر الناس في جنازته، وكثر البكاء والعويل عند قبره، وأنشدت جملة من المراثي[3].

ولما توفي أوصى أن يكتب على قبره وينقش عليه: " بسم الله الرحمن الرحيم: "قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون" هذا قبر أحمد بن عبد الملك بن شهيد، المذنب. مات وهو يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن الجنة حق، وأن النار حق، وأن البعث حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها. وأن الله يبعث من في القبور. مات في جمادى الأولى عام ستة وعشرين وأربعمائة.

يا صاحبي قم فقد أطلنا أنحن طولَ المدى هجود ؟
فقال : لي لن نقوم فيها ما دام من فوقنا الصعيدُ
يا ويلنا إن تنكبتنا رحمة من بطشه شديدُ
يا رب عفواً فأنت مولى قصر في أمرك العبيدُ

كما أوصى قبل وفاته بأن يصلي عليه الرجل الصالح أبو عمر الحصار، وأن يسن التراب عليه دون لبن أو خشب، وأن يدفن بجنب صديقه أبي الوليد الزجالي[4].

لقد أراد ابن شهيد أن تكون هذه الكلمات آخر ما يقرأه الناس عنه، فتمحوا ما قرأوه عنه من أخبار وشعر ونثر، وأن تكون صورته أمام الخالق والخلق مغايرة لصورته التي صورتها أشعاره وأخباره، لقد خشي من الله ومن الناس أن ينظروا إليه بناء على ما قاله من شعر ونثر، وما فعله من أفعال، نظرتهم إلى مفرط مستخف بالدين فعلاً، لذلك أصر على هذه الكلمات التي نقشت على قبره، لتحفظ له إيمانه وتؤكده أمام الله والناس، إنها تمثل في حياته حسن ختام إيماني، فهو وإن كان مقصراً فعلاً ومقصراً قولاً ومقصراً بداية، لم يكن مقصراً إيمانا وقلباً وختاماً.

ثالثا – الدراسة التحليلية التطبيقية لأدب ابن شهيد:

عندما ندرس شعر ابن شهيد نراه في كثير من الأحيان يظهر تأثيرات موغلة في القدم كما يظهر الماء الصافي ما تحته من حصى وهذه التأثيرات تعود إلى عهد الطفولة وما رآه فيها مما ظنه جحيماً من والده، أو مما ظنه نعيماً من أصدقاء والده مثل الحاجب المنصور وغيره.

---

[1] ينظر: عباس. إحسان تاريخ الأدب الأندلسي ص 290 – 293.

[2] المرجع نفسه ص 287.

[3] المرجع نفسه ص 290.

[4] ينظر: عباس. إحسان تاريخ الأدب الأندلسي . ص 289.

إنه رأى في والده –كما مر معنا– من قبل قسوة وصرامة وجداً وتعسفا في استخدام حقوق الأبوة . فقد عمد بعدما تنسك إلى ابنه، وكان يومئذ في الثامنة ، فحلق لمته ، وانتزع ما عليه من ثياب الخز والوشي، وألبسه بدلا منها ثياباً بسيطة مما آلمه أشد الألم وأحزنه أشد الحزن ، وفي الوقت نفسه رأى عند الحاجب المنصور، وزوجه وأهله ، وحاشيته وبلاطه ، دلالاً وعطاء وكرماً وإكراماً وتعويضاً عما فعله به أبوه .

وهذا التناقض بين ما رآه من هذا ومن هؤلاء ترك في نفسه آثاراً استمرت معه بصورة لاشعورية في حياته كلها لم تتركه حتى تركت روحه جسده. ولعل أهم هذه الآثار تضخم الذات عنده أو ما يمكن أن نسميه نرجسية بصورة من الصور.

والقارئ لديوان ابن شهيد يلمح فيه الأنا واضحة ظاهرة جلية في كلمات الديوان وخلف سطوره ، نجد ذلك في جميع أغراض شعره، ففي فخره نراه يعتز اعتزازاً قوياً دائماً بنسبه وقومه وأصله وبما يمتازون به من أصل كريم ومكانة وزارية مرموقة ومقدرة بلاغية شعرية أدبية مميزة يقول :

مِنْ شَهِيدٍ فِي سَرهَا ثُمَّ مِنْ أَشْــ جع في السر من لباب اللباب
خطبــاء الأنامِ إنْ عَن خطب وأعاريب في فنــون عــراب[1]

كما كان كثير الفخر والاعتزاز بمقدرته الإبداعية في نظم الشعر وحسن التأليف والتعبير، فهو معجب بنفسه وبخصاله الحميدة والتي يشعر بها بتميزه على كل من حوله وربما على كل المخلوقات. قال:

وكأن النجوم لَمَّا هَدَتْهُم أشرقت للعيون من آدابي
وكأن البروق إذ طالعتهم أُوقدت في سمائها من شهابي[2]

ولو اكتفى ابن شهيد بما رأيناه لديه من فخر لكان الأمر هيّنا عادياً، وإنما نجده في مواطن ينبغي للشاعر أن يتطامن فيها وأن يبعد ذاته عن مسرح أدبه لتبدو ذات غيره سواء أكان ممدوحاً أو متغزلاً به.

ففي مديحه لأبي مروان تظهر الأنا واضحة جلية إلى درجة يحسب القارئ أنه يفخر بنفسه يقول:

أنا البحر لا يستوهن الخطب طاقتي وتأبى الحسانُ أنْ أطيق لقاءها
نقضت عرى عزم الزمان وإن عتا بعزمة نفس لا أريد بقاءها[3]

وفي مديحه للوزير أبي القاسم الإقليلي يقدم نفسه على الممدوح ويؤخر ممدوحه بعد ذكره الأنا ، يقول :

غير أني مع الوزير أبي القا سم حزب محض من الأحزاب[4]

وإلى جانب إبراز ابن شهيد ذاته عن المديح كذلك أبرزها أيضاً في الغزل والذي يجب فيه أن تختفي شخصية المحب وتبرز شخصية المحبوب ولكن عند ابن شهيد انعكس الأمر، وغدت شخصيته هي المحبوبة وهي المتطلع إليها من قبل الطرف الآخر يقول في بعض أبياته :

عجبت لنفسي كيف ملكها الهوى وكيف استفز الغانيات إباءها
ميادين أفراس الصبا ومراتع رتعتُ بها حتى ألفتُ ظباءها

[1] ابن شهيد. ديوان ص 87.
[2] الديوان ص 86.
[3] ابن شهيد ديوان ص 83
[4] المصدر نفسه ص 87

فلم أر أسرابا كأسرابها الدمى ولا ذئب مثلي قد رعى ثُمَّ شَاءَها[1]

إنه يصور محبوباته بالشياه رمز الضعف والانقياد ، ويصور نفسه بالراعي رمز القوة والقيادة ، ولكنه لم يكتف بذلك ولم يجعل نفسه راعيا فقط ، وانما جعل هذا الراعي ذئبا لا يقف عند رعي الشياه وقيادتها وانما يستطيع أن يفترسها أنى شاء وهي دائما في موقف الخائف المترقب الذي يتوقع نهايته في كل حين.

إنها صورة عجيبة غريبة من صور العلاقة بين المحب والمحبوب ، لم تقم على الود المتبادل أو المحبة بين الطرفين ، ولم تقم أيضا على الانقياد الطوعي للمحب أمام المحبوب وانما قامت على الانقياد القسري التسلطي المخيف للمحبوب من المحب.

إنه يتلذذ بذكر ذلك، ويجعل العلاقة بينهما علاقة المفترس بضحيته، وقد كرر ذلك في قصيدة أخرى قال فيها :

ظبية دون الصبايا قصصت فأتت غيداء في شكل الصبي

فمشت نحوي وقد ملكتها مشية العصفور نحو الثعلب[2]

وهنا تتكرر اللذة، لذة الألم ، صورة رهيبة في تصوير الانقياد والطاعة، لعلها السادية إذ نرى فيها السادي يتلذذ بتعذيبه الآخر، وكلما ازداد عذاب الآخر تألقت اللذة المرضية وتأججت، وهل هناك عذاب أكبر من عذاب الشاة من ذئب هو راعيها ، أو من عصفور يمشي نحو ثعلب ماكر فيجد اللذة في أنيابه.

من جهة أخرى كان ابن شهيد يتوق دائما إلى المناصب الوزارية ، ويتطلع إلى المراكز العالية إلا أن صممه الذي لازمه معظم أيام حياته حال دون استلامه منصب الوزارة أو الكتابة، لذا كان شعوره بالمرارة عميقا. كما أن صممه هذا كان عاملا نفسانيا أدى به إلى انطوائه على نفسه، وزاد من حدة توتر أعصابه وعمق ميوله الفنية "مثلما كان لصمم بتهوفن أو عرج بيرون"[3].

كما يمكن أن نعلل ارتفاع صوت ابن شهيد النفسي وتضخم معانيه كأنها حالة تعويض عن حالة يعيشها وتلازمه وتؤلمه أيضا، مما أدت به إلى حالة من حالات الإحباط –كما مر معنا آنفا– أنه حالة من خيبة يشعر بها الفرد نتيجة الفشل في إشباع حاجة لديه أو تحقيق رغبة معينة عنده، وقد أكد كلا من العالمين دولارد وميللر أن الاحباط يؤدي إلى حالة من حالات العدوان، وأن السلوك العداوني تسبقه حالة إحباط وفشل ، وأن لهذا العدوان أشكالا عدة ، نأخذ منها ما يتصل وشخصية ابن شهيد، وهو العدوان اللفظي ، فقد وجه ابن شهيد عدة قصائد في الهجاء، منها ما ذكره في هجاء جعفر بن محمد بن فتح والذي كدر الصفو بين ابن الإفليلي وابن شهيد ، فهجاه هجاء لاذعا بقوله :

هلا سترتَ الشين بالزين من قبل إحضار الوزيرين

صَدَهُما مِنْ قردك المصطفى نطحة نطاح بِرَوْقِينَ

وما رأى الناس على ما مضى من قبله قرداً بقرنين[4]

وهنا نستطيع القول إن كل ما مر به ابن شهيد أدى به إلى ما نستطيع أن نسميه بظاهرة التحدي ، وهذا نجده واضحا في رسالة التوابع والزوابع، فأبو عامر كان كثير الخصوم والحساد ، لقي منهم عنتا وأذى وضيما لم يصبر له فانبرى يواقعهم ، ويناضلهم، وينتقص أدبهم ، ويبسط آراءه في المنظوم والمنثور، والفن والجمال. فرسالة التوابع والزوابع ترمي إلى الطعن على أنداده ومنافسيه من الوزراء والأدباء وأهل السياسة والقلم ، ثم المنافحة عن أدبه بالرد على غمزات نقاده ، ثم إظهار محاسنه وفضائله في المتقدمين والمتأخرين.

---

[1] المصدر نفسه ص 83

[2] ابن شهيد ديوان ص 93

[3] المصدر نفسه ص 15 – 16.

[4] المصدر نفسه ص 164.

والرسالة نفسها هي قصة رحلة خيالية لم تصل إلينا كاملة ، طلب فيها ابن شهيد من تابعه الجني ، واسمه زهير بن نمير أن يأخذه إلى وادي الجن ، فاستأذن رئيسه ، ثم طارا معا على ظهر جواد من جياد الجن إلى توابع الشعراء ، فقابلا توابع امرئ القيس وطرفه وأبي تمام وغيرهم وسمع منهم أشعارهم وأنشدهم فأجازوه معترفين بفضله وسبقه. ثم انتقل إلى توابع الكتّاب، فرأيا توابع الجاحظ وعبد الحميد الكاتب وبديع الزمان وغيرهم واتسم اللقاء معهم بشيء من الشدة والحدة الا أنهم اعترفوا بفضله وأجازوه كما شكا إلى بعضهم أمر حساده ونقدهم وجرحهم له. ثم انتقل إلى مجلس أدبي للجن، تداولوا فيه بيتا للنابغة الذبياني تعاوره الشعراء بعده، وهنا أيضاً ظهر فضل ابن شهيد ، وأخيراً أراد أن يخفف من غلواء أجواء النقد والحدة السابقة ، فانتقل مع تابعه إلى مكان لحمير الجن وبغالهم ، وسمع لبغل عاشق ولحمار محب وحكم بينهما، وهكذا ينتهي ما وصل إلينا من رسالة التوابع والزوابع ، ولو وصلتنا كاملة كان ذلك خيراً كثيراً[1].

وهكذا نلمس أنه قد ألف رسالته التوابع والزوابع ليثبت تفوقه على كبار شعراء الأقدمين الذين اتفق الجميع على تفوقهم وتقدمهم ، وبهذا يكون قد أثبت تفوقه على معاصريه بصورة أدبية فنية غير مباشرة . لقد حاول في رسالته التوابع والزوابع أن لا يكون مبدعاً متفوقاً في شعره فقط وانما في أسلوبه القصصي المبدع ، وهذا واضح في قوله عن صاحب أبي نواس :

"فضرب زهير الأدهم بالسوط ، فسار بنا في قننه ، وسرنا حتى انتهينا إلى أصل جبل دير حنة ، فشق سمعي قرع النواقيس ، فصحت : من منازل أبي نواس ، ورب الكعبة العلياء ! وسرنا نجتاب أديراً وكنائس وحانات ، حتى انتهينا إلى دير عظيم تعبق روائحه وتصوك نوافحه، فوقف زهير ببابه وصاح : سلام على أهل دير حنة... قد قبضت على العكاكيز ، بيض الحواجب واللحي ، اذا نظروا إلى المرء استحيا، مكثرين للتسبيح ، عليهم هدى المسيح فقالوا : أهلا بك يا زهير من زائر ، وبصاحبك أبي عامر."[2]

وابن شهيد في رسالته لا يضيره أنه قد استفاد على نحو ما ببديع الزمان الهمذاني في مقامته الإبليسية، انه لم يكن مقلدا إنما كان مبدعا استطاع أن يجعل من الشرارة حريقا كبيرا يبدد ظلام الليل في رسالة التوابع والزوابع.

ونلاحظ في ديوان ابن شهيد كثرة ألفاظ البكاء والدموع كثرة لافتة للنظر ، وتدل دلالة واضحة على شعور عميق قديم يكبته الشاعر في أعماقه ، إن استطاع أن يخفيه مرة فلم يستطع أن يخفيه مرات عدة، ومثال ذلك قوله:

ولما فشا بالدمع مِنْ سرّ وجدنا إلى كاشحينا ما القُلُوبُ كواتم
أمرنا بإمساك الدموع جفوننا ليشجى بما تطوي عدول ولائم
فظلت دموع العين حيرى كأنها خلال مآقينا لآل توائم[3]

ولعل كثرة هذا البكاء انما هو دليل على هشاشة وتحطيم وخيبة أمل يشعر الشاعر بها في داخله، ومن الممكن أن يكون سببها تلك التناقضات التي مزقت الشاعر تمزيقا منذ أيام طفولته:

تناقض بين معاملة أبيه القاسية الجافة الفظة ومعاملة أبي عامر المنصور المتسمة باللين والتسامح والدلال والكرم ، والذي ربما دفعه حبه له إلى أن يتكنى بكنية أبي عامر دون غيرها ، لما للعامريين من فضل عليه وعلى أبيه .

تناقض أيضا بين طموحه و واقعه إنه كان يطمح أن يصل إلى مرتبة عليا الأسرة والأدب الرفيع وغير ذلك، ولكن صممه حال بينه وبين طموحه أن يكون كأبيه منزلة وجاها وسلطانا ، وهذا أدى إلى مزيد من الحنق الدفين مثل مرتبة أبيه ، وخاصة أنه يملك الإمكانات اللازمة لذلك مثل شرف على أبيه على الرغم من إعجابه به وتقليده له ، إنه أيضا تناقض بين الإعجاب والتقليد من جهة ، والحنق والمخالفة من جهة ثانية .

---

[1] بدوي.عبده وزميلاه، الأدب وروح العصر ص 178 – 179

[2] ابن شهيد رسالة التوابع والزوابع ص 104 – 105.

[3] ابن شهيد الديوان 154

وتناقض يظهر في ما آلت إليه قرطبة بعد سقوطها وما كانت عليه من عز وجاه ، إنه لم يغادرها بل تشبث بها، ولكن هذا لم يخفف من غلواء آلامه وربما زادها لأن رؤيته لها يوميا تنكأ جرحه كلما اندمل ، وتزيد آلامه كلما خفت.

كذلك نجد تناقضا بين حبه للنساء وميلهن إليه ، وسهولة إمكان ذلك في أجواء قرطبة آنذاك وبين عجزه الجنسي الذي اتهم به فإنه كما قال أحد الشعراء :

كالعيس في البيداء يقتلها الظما والماء فوق ظهورها محمول

وتناقضا آخر بين غريزتي الحياة والموت ، إنه على الرغم مما يبدو عنده من حب عظيم للحياة ومتعتها وزينتها ، حيث كان صاحب مجالس ترف ولهو، ويهتم بملبسه وفخامته وزينته ، إلا أننا نلمح غريزة الموت قوية جدا واضحة تغلبت على غريزة الحياة ، نجدها في حزنه وبكائه ، في انطوائه على ذاته وتشبثه بالمكان (قرطبة) وهذا الصراع يبدو أكثر ما يبدو في قوله:

هو الموت لم يُعرف بأجراس خاطب بليغ ، ولم يعطف بأنفاس شاعر

ولكن عجيباً أن بين جوانحي هوى كشرار الجمرة المتطاير

يحركني والموت يحفر مهجتي ويهتاجني والنفس عند حناجري[1]

ثم نجد غريزة الموت تبرز بشكل أقوى عندما بلغ أقصى درجات الانتقام نتيجة الألم الشديد الذي ما عاد يطيق تحمله ، فجافاه الصبر ولحقه اليأس وفكر بالانتحار قال :

أنوح على نفسي وأندب نبلها إذا أنا في الضراء أزمعت قتلها[2]

ولكن سرعان ما تخلص من فكرة الانتحار هذه بعد مجالدة ونضال مع نفسه فكتب يقول :

رَضِيتُ قضاء الله في كل حالة علي وأحكاماً تيقنت عدلها

أظل قعيد الدار تجنبني العصا على ضعف ساقِ أَوْهَنَ السُّقْمُ رجلها[3]

وهكذا نراه يتقلب بين حياة وموت بين رغبة وضعف ، بين ألم وصبر، وبين سخط ورضا ، وفي هذا يقول ابن حيان : أبو عامر ابن شهيد ... أعجب الناس تفاوتا مابين قوله وفعله.[4]

ولم يقف استخدامه للبكاء في مواقف الحزن فقط وانما تعداها إلى مواقف الفرح والغزل والخمر ، فيقول :

ركع الإبريق مِنْ طاعته وبكى فابتل بتل ثوب الأكوب[5]

وفي وصف الطبيعة يقول :

وغمام باكرتنا عينه تتْرِعُ الأَفْقَ بدمع صيب[6]

وفي وصفه للزهر يقول :

من باسم باك اليــ ك ند با و ك وَهُوَ باسم[7]

---

[1] ابن شهيد الديوان ص 113 – 114.

[2] المصدر نفسه ص 154.

[3] ابن شهيد، الديوان ص 154

[4] بلا شارل ابن شهيد الأندلسي: حياته وآثاره ص 150.

[5] ابن شهيد، الديوان ص 92.

[6] المصدر نفسه ص 93.

[7] المصدر نفسه ص 155.

ان هذا كله يدل دلالة واضحة على شعوره بالألم الدفين الذي لم يستطع منعه من أن يصل إلى السطح حتى في مناسبات الفرح والغبطة والسرور.

ويلفت نظرنا أيضا تضخم الأنا عنده وتكرار كلمة (أنا) تكرارا كثيرا أشبه ما يكون بالتكرار العصابي الذي يخفي وراءه ما يخفي من نرجسية وأنانية وهشاشة، نجدها في مواطن كثيرة من مثل قوله :

أنا البحر لا يستوهن الخطب طاقتي وتأبى الحسانُ أَنْ أُطيق لقاءها[1]

وأيضا قوله :

أنا السيف لم تتعب به كف ضارب صَرُومُ اذا صادفت كف صروم[2]

إنه تكرار عصابي قهري ، والدافع العصابي عنده إنما ينم عن ضعفه أو كبته ونرجسيته ، ولعله هنا يحق لنا أن نتساءل هل لنرجسيته الآنفة الذكر علاقة ما بذكره لزهر النرجس أكثر من مرة في ديوانه حيث يقول :

فكأن نرجسها وقد حَشَدَتْ بهِ زهر النجوم تقاربت في مطلع[3]

وقوله :

ورنت فبادر نرجس يشكو عماه إلى حمائم[4]

وربما شكوى النرجس هنا كان لها علاقة بشكوى الشاعر نفسه ، وذكره لزهر النرجس واختياره اللاواعي لهذا النوع من الزهر دون غيره له صلة بطبيعة شخصية ابن شهيد في انطوائه على ذاته ونرجسيته.

ومهما يكن من أمر ابن شهيد فإننا نراه في آخر عمره يقف وقفة المتأمل الذي صحا بعد سكرته التي طال بها الأمد، وأعطى رأيه في طول حياته فلم يجدها إلا لمحة من نظر، وفي طول لذاته وكثرتها فلم يرها إلا تجارة خاسرة كانت عليه وبالا ، وأنه قد آل إلى ما قدمت يداه من خير أو شر، فرأى الموت هو الحق الوحيد، ورأى ما سبقه من حياة لا يعدو أن يكون سرابا، حتى إذا جاءه لم يجده شيئا، أو أضغاث أحلام سرعان ما أيقظه الموت منها ، فإذا هي هشيم تذروه الرياح، ولقد عبر عن ذلك بقوله في أيامه الأخيرة:

تأملت ما أفنيت من طول مدتي فلم أَرَهُ إلا كلمحة ناظر

وحصلت ما أدركت من طول لذتي فَلَمْ الْفِهِ إِلَّا كَصَفْقَةِ خَاسِرِ

وما أنا إلا رهن ما قدمت يدي إذا غادروني بين أهل المقابر[5]

وبهذا نجد أن ابن شهيد في أدبه المتميز، وأغراضه الشعرية المتنوعة، وصوره الفنية ومحسناته البديعية استطاع أن يظهر تفوقه ومهارته وإبداعه الفني الذي تعالى به عن أبناء عصره وفضله عليهم ، إلا أنه لم يستطع أن يخفي بين السطور ما انطوت عليه نفسه وخباياها، وما عانته من ظروف قاهرة ومحن وتناقضات أدت إلى إنتاج هذا النوع من الأدب.

وفي الختام، يمكن القول إن أدب ابن شهيد الأندلسي يشكل انعكاسًا جليًا لملامح النرجسية التي تسربت إلى نصوصه عبر استخدامه المكثف للذاتية والفخر بنفسه وبإنجازاته. من خلال استعراضنا لأعماله الأدبية، اتضح كيف كان يميل إلى إبراز ذاته على أنها مركز الكون، متباهيًا بفطنته الأدبية ومعرفته الواسعة. وعلى الرغم من أن هذه السمات قد تبدو في الظاهر مفرطة في الثناء على النفس، إلا

[1] ابن شهيد ديوان 83.

[2] المصدر نفسه 184.

[3] المصدر نفسه ص 125.

[4] المصدر نفسه ص 156.

[5] ابن شهيد، الديوان ص 288.

أنها تأتي في سياق أدبي يعكس التحديات التي واجهها الأدباء في بلاط الحكام الأندلسيين، والبيئة الثقافية التي جعلت من التميز والتفرد ضرورة للإبراز والاعتراف.

يبقى ابن شهيد، رغم نرجسيته، أحد أعلام الأدب الأندلسي الذين استطاعوا المزج بين التميز الأدبي والتعبير عن الذات بقوة، مما يجعل دراسته من الزوايا النفسية والأدبية أمرًا ذا قيمة كبيرة لفهم أبعاد شخصيته وأدبه.

المصادر والمراجع:

- بدوي.عبده وزميلاه ، الأدب وروح العصر بالاشتراك، منشورات ذات السلاسل ، الكويت 1405 هـ – 1980 م .
- ابن بسام. علي الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1939م
- البستاني . بطرس ، رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسي ، دار صادر ، بيروت 1400 هـ – 1980 م.
- بلا . شارل ، ابن شهيد الأندلسي : حياته وآثاره ، محاضرات ألقاها على طلبة اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب في جامعة باريس، منشورات الجامعة الأردنية – ط2 كلية الآداب 1965.
- زكي . يعقوب ، ديوان ابن شهيد، راجعه: محمود علي مكي ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر / القاهرة د.ت.
- سويف . مصطفى ،الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة، ط4 ، دار المعارف1969م.
- عباس . إحسان ، تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة، ط2 دار الثقافة ، بيروت – لبنان، / 1969م.
- عبد الله. محمد قاسم ،الصحة النفسية، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، حلب 1418 هـ –1997م.
- عقاد . عباس محمود ، أبو نواس . الحسن بن هانئ، دار الكتاب العربي ، بيروت –لبنان 1388 هـ – 1968 م .
- فرويد . سيجمند ، الأنا و الهو ، تحقيق :محمد عثمان نجاتي ، ط5، مكتبة التحليل النفسي والعلاج النفسي – دار الشروق، بيروت، القاهرة 1408 هـ – 1988 م.
- هيكل. أحمد ، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، ط6 ، دار المعارف –مصر1971م.